مقتل

طرفـةَ بـن العَبْـد

obeikandl.com

obeikandl.com

اسمه ولقبه[١]

هو عمرو بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة.. بن بكر بن وائل.

وفي «الشعر والشعراء» نتوقف عند جده مالك، لنجد أن مالكاً هذا، هو ابن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة.

أما طرَفَة فهو لقبه، والطرفة واحدة الطرف والطرفاء، وهو نوع من الشجر يشبه الأثل، وتتحمّض الإبل به إذا لم تجد حمضاً غيره.

وثمة من يذهب إلى أنه لقّب بطرفة ببيت قاله، وهو:

لا تعجلا بالبكاء اليوم مطّرفا

ولا أميريكما بالدار إذ وقفا[٢]

وطرفة واحد من عدة شعراء عرفوا بهذا الاسم، منهم: طرفة ابن ألاءة بن نضلة بن المنذر، وطرفة الجذمي، من بني عبس، أو الخُزَيمي، من بني خزيمة بن رداحة، وطرفة العامري[٣].

---

(١) نقلاً عن (طرفة بن العبد، حياته وشعره) للدكتور يحيى شامي، بتصرف يسير، وانظر ترجمته موسعة في: طرفة بن العبد ـ دراسة وتحليل ـ للدكتور علي الجندي، ومعلقات العرب للدكتور بدوي طبانة، وشعراء النصرانية للويس شيخو، وطرفة بن العبد ـ حياته وشعره ـ للدكتور محمد علي الهاشمي، وطبقات فحول الشعراء، ص١٣٧ شرح محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. القاهرة، والأغاني ٢١ / ١٨٥، والموشح، ص٥٧، ومعجم الشعراء، ص٢٠١، وخزانة الأدب ١ / ٤١٤ وغيرها.

(٢) البستاني، فؤاد أفرام: الروائع، ص١٩٨، عدد ٢٤، ط٤، المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٦١م.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٩٨ .

ولادته، رعايته، لهوه

ولد طرفة في البحرين، لكن تاريخ ولادته كان ـ ولا زال ـ موضع خلاف، فذهب بعضهم إلى القول إن ولادته كانت حوالي سنة ٥٤٣م، وذلك استناداً إلى ما شاع عن تسميته بـ «الغلام القتيل»، وإلى أنه قتل على عهد الملك الحيري عمرو بن هند، الذي حكم بين عامي ٥٦٢ أو ٥٦٤ و٥٧٦ أو ٥٧٨م. وإذا ما أخذنا بالرأي القائل إن عمرو بن هند حكم بين عامي ٥٥٤ و ٥٧٠م، فإن ولادة طرفة تكون مبكرة عن العام ٥٤٣م.

ومهما يكن من أمر، فإن طرفة كان صغيراً بين إخوة صغار لما توفي أبوه العبد، فكفلته أمه وردة، ورعاه أخوه معبد الذي ربما كان أكبر من طرفة، لكن أعمامه ضيّقوا عليه، وعضلوه عن التصرف بحصته من إرث أبيه، فقال في ذلك من شعر يصور نقمته وغضبه:

ما تنظرونَ بمال وردةَ فيكمُ
صَغُر البنونَ ورهطُ وردةَ غُيَّبُ

قد يبعث الأمرَ العظيمَ صغيرُهُ
حتى تظلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ

والظلمُ فرّق بين حيَّيْ وائلٍ
بكرٌ تُساقيها المنيّةَ تغلبُ

والصـدقُ يألفـه الكريم المرتجى
والكِذْب يألفـه الدَّنيُّ الأخـيبُ[١]

ولا يعني هذا القول أن طرفة حرم كل ما يملك، إذ نجد أنه، وبدافع من شرف محتده، وبما تحصَّل له من مال مطرف، راح يلهو وينفق بلا حساب، وتبع ذلك لذة وشراب، حتى نفد ماله ولم يبق منه سوى النزر القليل، وهذا ما اضطّر عشيرة الشاعر والأقربين منه إلى تحاميه وإبعاده، فأفرد، على حد تعبيره، إفراد البعير الأجرب:

إلى أن تحامتني العشيرة كلها
وأفردت إفراد البعير المبعد[٢]

على أثر ذلك راح طرفة يطوّف بطول البلاد وعرضها حتى وصل ـ على ما ذكر ـ إلى بلاد الحبشة[٣]، بعيداً عن قومه. وأخيراً اضطر إلى العودة إليهم بعد أن أنفق جميع ماله، فرعى إبلاً لأخيه معبد لقاء أجر معلوم[٤]، لكنه أهمل رعايتها، وانصرف إلى نظم الشعر، فأنّبه أخوه على ذلك وانتهره بالقول: «ترى إنها إن أخذت تردها بشعرك هذا؟» فأجاب قائلاً: «لا أخرج فيها حتى تعلم أن شعري يردها»[٥].

(١) الشعر والشعراء، ص١١٩.
(٢) ديوان طرفة، ص ٢٥، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
(٣) الروائع، ص٢٠١.
(٤) شيخو، لويس: شعراء النصرانية، ص٢٩٩، بيروت ١٨٩٠م.
(٥) الروائع، ص٢٠٢.

وصدقت فراسة الشاعر، مثلما صحت توقعات أخيه معبد، فقد أخذت الإبل من طرفة، وهو لاهٍ يتغزّل، فلجأ إلى ابن عمه مالك، واستعان به على ردِّ الإبل التي احتوشها قوم من مضر، فأبى هذا مساعدته؛ لكنّ طرفة وجّه وجهه لسيّدين كريمين من أقربائه هما قيس بن خالد، وعمرو بن مرثد، فمدحهما أجمل مدح، فما كان من عمرو بن مرثد إلا أن دعا إليه أولاده، وكانوا سبعة، فأمرهم بمساعدة الشاعر، فأدى كل واحد منهم عشراً من الإبل، ومثلهم فعل ثلاثة من أحفاده، فدفعوا مثل ذلك إلى طرفة الذي استطاع أن يردّ إبل أخيه[١].

اتصاله بعمرو بن هند[٢]:

وكأنّ طرفة وثق بأن شعره قادر على أن يؤمن له مورداً من المال يسدّ به حاجته، فاتصل بعمرو بن هند ملك الحيرة، وكان عنده المتلمس، خال الشاعر، وهو شاعر مشهور، وعبد عمرو ابن بشر بن مرثد، صهره على أخته، فاستقبله الملك استقبالاً يليق

(١) البستاني، بطرس: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ١١٦/١. دار مارون عبود، بيروت ١٩٧٩م.

(٢) هو عمرو بن هند، والده هو المنذر بن امرئ القيس، مَلَك الحيرة بعد وفاة والده (نحو سنة ٥٥٤م)، ولبث على عرشها حتى (نحو سنة ٥٦٩م)، وكان أبوه قد تزوج هنداً بنت آكل المرار، فولدت له عمراً وقابوس والمنذر ومالكاً.
زعم الرواة أن عمرو بن هند كان له يومان: يوم بؤس ويوم نعيم، فكان يقتل أول من لقي في اليوم الأول، ويكرم أول من يلقى في اليوم الثاني. فاشتهرت عنه لأجل هذا حكايات كثيرة دوَّنها الرواة في كتب الأدب.

بكبار الرجال، ثم اتخذه جليساً له ونديماً، وراح يسمع شعره الذي أعجب به أيما إعجاب، حتى جاء يوم كان فيه الشاعر بين يدي الملك، والقوم عاكفون على الشراب، إذ برزت أخت الملك بجمالها الساحر، فنظر طرفة إليها نظرة إعجاب مما أثار ريبة الملك وحفيظته فنظر إلى الشاعر نظرة شزر، لكنه كتم ذلك في نفسه، ولم ينبس ببنت شفة، إلا أن المتلمس أدرك نية عمرو بن هند فقال لابن أخته: «ياطرفة، إني أخاف عليك من نظرته تلك ».

وما توقعه المتلمس كان صحيحاً، إذ سرعان ما أمر عمرو بإبعاد الاثنين معاً من حاشيته ليلحقهما بحاشية ولي عهده وأخيه قابوس بن هند، وكان هذا لاهياً محباً للصيد، فأمرهما باصطحابه إلى الصيد، فما رجعا إلا وقد أخذ التعب منهما كل مأخذ.

وكان حقيقاً على الشاعرين أن لا يبرحا قابوس حتى في الأيام التي كان يخلو فيها بنفسه، فلا يدني منه إلاّ من كان مقرباً الأمر الذي أغضب طرفة والمتلمس فاندفعا في هجائه، وفي هجاء عمرو نفسه بن هند ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ.

قصة مقتله

كان طرفة قد هجا (عبد عمرو بن بشر بن مرثد) زوج أخته! عندما جاءت أخته يوماً تشكو منه، فقال فيه طرفة:

يا عجباً من عبد عمرو وبغيه
لقد رام ظلمي عبد عمروٍ فأنعما

ولا عيب فيه غير أن له غنى
وأن له كشحاً إذا قام أهضما

وإن نساء الحي يعكفن حوله
يقلن عسيب من سرارة ملهما[١]

لهُ شربتان بالنهارِ وأربعٌ
من الليل حتى آض سُخْداً مورَّما[٢]

ويشربُ حتى يَغْمُر المحضُ قلبَه
وإن أُعطَهُ أتْرُك لقلبي مجثما[٣]

---

(١) الديوان، ص٧٠، والكشح: الخصر. والأهضم: الهزيل. ويعكفن: يملن. والعسيب: جريد النخل. والسرارة: وسط الشيء. وملهم: موضع تكثر فيه النخل.

(٢) آض: صار. سخداً: ريان، أي أنه يشرب من اللبن مرتين في النهار وأربعاً في الليل حتى انتفخ وتورم.

(٣) المحض: اللبن الخالص، ومجثم: موضع راحة، يريد: وإن أسق اللبن لا أكثر منه وإنما أترك لقلبي موضع راحة.

obeikandl.com

كـأنّ الـسـلاحَ فـوقَ شـعـبـةِ بـانةٍ
ترى نَفْخاً وَرْدَ الأسـرَّةِ أسْحَـمـا[١]

ومن عجيب الصدف أن عمرو بن هند ـ وهذه رواية ابن قتيبة[٢] ـ كان يتصيد ذات يوم، ومعه عبد عمرو، فأصاب حماراً، فطلب إلى عبد عمرو أن ينزل إليه، فأعياه ذلك، فضحك عمرو وقال:

لقد أبصرك طرفة حين قال:

ولا عـيب فيـه... إلـــــخ!!

فما كان من عبد عمرو إلا أن أخذته الحمية وقال للملك عمرو بن هند: الذي قال فيك أشد ممّا قال فيّ!

فتلون وجه عمرو بن هند وقال لعبد عمرو: وما قال فِيّ؟!

فأخبره عبد عمرو بقصيدة طرفة التي هجاه فيها وهي قوله[٣]:

---

(١) شعبة: غصن. بانة: شجرة لينة، شبه عبد عمرو في تثنيه ونعمته بهذه الشجرة! والأسرة: الطرائق في الجسد، أي أنه أحمر اللون من أثر ما يتطيب به من الزعفران.
(٢) الشعر والشعراء، ص١١٨.
(٣) ديوانه (ص٤٨ ـ ٤٩)، وقد روى ابن السكيت في شرحه لديوان طرفة (ص١٥) أبياتاً أخرى له في هجاء عمرو بن هند، هي من أشد الهجاء وأمـره وأوجعـه، هي:

أبا الجُـرَيِّ متى تَرْجو تَدينُ لكمْ ... يا بن الشَّديخِ ضِباعٌ بينَ أجْباخ
أنتَ ابنُ هند فَأَخْبِرْ مَنْ أبوكَ إذاً؟ ... لا يُصْلِحُ المُلْكَ إلاّ كـلُّ بَذّاخ
إنْ قلتَ نَصْرٌ، فنصرٌ كان شَرَّ فَتىً ... قِدْمـاً وأبيضَهـم سِرْبالَ طَبّاخ
ما في المَعالي لكـمْ ظـلٌّ ولا وَرَقٌ ... وفي المخـازي لكمْ أسْناخُ أسْناخ
إنْ قُسِّمَ المَجْدُ أكْدَى في سَـراتكُمُ ... أو قُسِّـمَ اللـؤْمُ فُضِّلْتُمْ بأشْياخ

الجـريّ: مصغر جرو وهـو ابن الكلب. والشـديخ: المشدوخ وهو المكسور، وأراد مكسور الرأس، كناية عن الذل، والأجباخ: أمكنة فيها نخيل. وبذاخ: عالٍ شريف. ونصر: هو نصر بن ربيعة أحد أجداد عمرو بن هند. وأسناخ: جمع سِنْخ وهو الأصل. وأكدى: انقطع. والسراة، السادة.

فليتَ لنا، مَكانَ المَلْكِ عَمْرٍو
رَغُوثاً، حَولَ قُبَّتِنا تَخورُ[١]

مِنَ الزَّمِراتِ، أسْبَلَ قادماها
وضَرّتُها مُرَكَّنةٌ دَرُورُ[٢]

يشاركُنا لنا رَخِلانِ فيها
وتَعْلُوها الكِباشُ، فما تَنورُ[٣]

لعَمْرُكَ! إنّ قابُوسَ بنَ هِنْدٍ
ليَخْلطُ مُلْكَهُ نُوكٌ كثيرُ[٤]

قَسَمْتَ الدّهْرَ في زَمَنٍ رَخيّ
كذاكَ الحُكْمُ يَقْصِدُ أوْ يَجورُ[٥]

لنا يومٌ، ولِلكِرْوانِ يومٌ
تَطيرُ البائِساتُ ولا نَطيرُ[٦]

---

(١) الرغوث: النعجة المرضع. تخور: تصوت.
(٢) الزمرات: القليلات الصوف. وتكون أغزر ألباناً. أسبل: طال. قادماها: خلفاها اللذان من قدام. والخلف للناقة استعاره للشاة، كما استعار لها الخوار في البيت السابق، وهو للبقر. ضرتها: لحم ضرعها. المركَّنة: التي لها أركان أي جوانب وأصل، أو المجتمعة. الدرور: التي تدر بلبنها.
(٣) الرخلان، واحدهما رخل: الأنثى من أولاد الضأن. تعلوها: تلقحها. الكباش، الواحد كبش الحمل إذا دخل في السنة الثانية، وقيل: الرابعة. تنور: تنفر.
(٤) نوك: حماقة.
(٥) الرخي: السهل اللين. كذاك الحكم: أي كذاك ذو الحكم. يقصد: يتوسط بين العدل والجور، ويجوز: يميل عن الحق.
(٦) الكروان: بسكون الراء جمع كروان بفتحها: وهو طائر أغبر اللون طويل المنقار، يقول: إن قابوس قسم أيامه بين طرفة وخاله المتلمس، وصيد الكروان، ولكن هذه الطيور البائسة تطير وتخلص، أما هما فلا يستطيعان الطيران والخلاص.

obeikandl.com

فـأمّـا يَوْمُـهُنّ، فـيَـوْمُ نَحْسٍ
تُطاردُهُنّ بالحَـدَبِ الصّـقُـورُ[١]

وأمـا يومُنا، فَنَظَلُّ رَكْـبْـاً
وُقـوفـاً، مـا نَحلُّ ومـا نَسـيـرُ[٢]

فلما سمع عمرو بن هند القصيدة ازداد حنقه وأضمر الشر لطرفة ولخاله المتلمس، وما لبث يتحين الفرص ليتخلص من الاثنين معاً، وكان يؤانسهما حتى اطمأنّا إليه، فدعاهما وقال لهما: لعلكما اشتقتما إلى أهلكما، وسرّكما أن تنصرفا؟

قالا: نعم.

فكتب كتابين إلى عامله في البحرين، وقال لهما: انطلقا إليه وخذا منه جوائزكما.

فحمل كلّ منهما كتابه، وسارا حتى بلغا النجف، فقال المتلمس لطرفة: تعلمنّ والله أن ارتياح عمرو لي ولك لأمر عندي مريب، وإني لا أنطلق بصحيفة لا أدري ما فيها.

فقال طرفة: إنّك لسيئ الظنّ؛ وما تخاف من صحيفة؟! إن كان فيها الذي وعدنا، وإلا رجعنا فلم نترك له شيئاً.

(١) الحدب: ما ارتفع وغلظ من الأرض. الصقور، الواحد صقر: كل طائر يصيد.
(٢) الركب: ركبان الإبل أو الخيل. ما نحل وما نسير، يريد: نحن قيام في بابه، فلا هو يأذن لنا فننزل عنده، ولا يأمرنا بالرجوع إلى أهلنا فنسير عنه.

obeikandl.com

فـأبى المتلمس أن يجـيـبـه وعـدل إلـى حـيث رأى غـلامـاً من الحيـرة، فدفع إليه الصحيفة ليقـرأها، فلما نظر الغـلام فيهـا قال: ثكلت المتلمس أمّه! فأخذ المتلمس الصحيفة وقذفها في البحيرة، فضُرب المثل بصحيفة المتلمّس.

ثم قال المتلمس لطرفـة: تعلمن والله أن الذي في كتابك مثل الذي في كتابي.

فقال طرفة: إن يكن قد اجتـرأ عليك مـا كـان بالذي يجـترئ عليَّ، وأبى أن يطيعه، فتركه المتلمس وهرب إلى الشام قائلاً[1]:

من مـبـلـغُ الشعـراء عن أخـويهِمُ
نبَـأً فـتـصْـدُقَـهمْ بذاك الأنفسُ

أوْدَى الذي عَلِق الصحيفةَ منهما
ونجـا حِـذَارَ حِـبـائه المتلمّسُ

ألقى صـحـيـفـتـة ونجَّت كُـورَه
وجناءُ مُـجـمِـرة المناسم عِـرْمِسُ

عَـيـرانةٌ طَبَخَ الهـواجـرُ لحَـمـهـا
فكأن نُـقْـبـتـهـا أديمٌ أملسُ

أجُـدٌ إذا ضَـمـرتْ تعـزَّز لحـمُـهـا
وإذا تُشَـدُّ بِنِسـعْـهـا لا تَنْبِسُ

---

(١) الأغاني (٢٣ / ٥٤١).

وتكاد من جــزع يطيــر فــؤادها
إن صاح مُكَّاءُ الضُّحا مُتنكِّسُ[١]

أما طرفة فقد سار إلى البحرين، وكان صاحبها (أبو بكر بن الحارث) وهو من أقرباء طرفة، فلما قرأ الكتاب قال: أتعلم ما أمرت فيك؟

قال طرفة: نعم! أمرت أن تجيزني وتحسن إليّ.

فقال له: إن بيني وبينك لخؤولة أنا لها راع فاهرب من ليلتك هذه، فإني قد أمرت بقتلك، فاخرج قبل أن تصبح ويعلم بك الناس.

فأبى طرفة، وقال: اشتدت عليك جائزتي، وأحببت أن أهرب وأجعل لعمرو بن هند عليّ سبيلاً، كأنني أذنبت ذنباً؛ والله لا أفعل أبداً.

فأمر بحبسه، ثم كتب إلى عمرو بن هند يقول: ابعث إلى عملك من تريد فإني غير قاتل الرجل.

فأرسل عمرو بن هند رجلاً من بني تغلب يقال له عبد هند، واستعمله على البحرين، فقدمها ولبث أياماً، فاجتمعت بكر بن

(١) الوجناء: الضخمة الغليظة الصلبة كأنها لصلابتها ضربت بمواجن القَصَّار، واحدتها ميجَنة، وهي مدقته، ومُجمرة المناسم: مجتمعة لطيفة في صلابة، والعِرمس: الناقة الصلبة، شبهت بالعرمس وهي الصخرة الصلبة، وتعزّز: تشدد، وتنبس: تنطق وتصيح، وطبخ الهواجر، لحمها: أي سافرت عليها حتى انجرد شعرُها. ونُقّبتها: لونها، والمُكّاء: طائر يطير في الجو ثم يتنكس.

وائل وهمت به، وكان طرفة يحضّهم، فانتدب له رجلاً من الحواثر يقال له: أبو ريشة، فقتله وقتل معه العامل السابق. وكان قبره معروفاً بهجر في أرض بني قيس بن ثعلبة.

وثمّة رواية أخرى لقتله تزعم أن عامل البحرين كان اسمه المكعبر، وإليه أرسل عمرو بن هند الكتابين؛ وأنّه لما خرج طرفة وخاله من عند عمرو بن هند سارا حتى إذا هبطا بأرض قريبة من الحيرة، إذا هما بشيخ معه كسرة يأكلها، وهو يتبرز ويقصع القمل.

فقال له المتلمس: بالله ما رأيت شيخاً أحمق وأضعف عقلاً منك.

فقال له الشيخ: وما الذي أنكرت عليّ؟

فقال: تتبرّز وتأكل وتقصع القمل!

قال: إني أخرج خبيثاً، وأدخل طيباً، وأقتل عدواً، ولكن أحمق مني وألأم حامل حتفه بيمينه، ولا يدري ما فيه.

فتنبّه المتلمّس، وكأنّما كان نائماً، وإذا هو بغلام من الحيرة فقال له المتلمس: يا غلام أتقرأ؟ قال: نعم. قال: اقرأ هذه! فإذا فيها:

«باسمك اللّهم، من عمرو بن هند إلى المكعبر. إذا أتاك كتابي هذا من المتلمس، فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيّاً،» فألقى المتلمس الصحيفة في النهر وقال لطرفة: معك والله مثلها.

فقال: كلا! ما كان ليكتب لي مثل ذلك.

ثم أتى المكعبر، فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً[١]

وقد كان مقتل طرفة وهو في السادسة والعشرين من عمره بدليل قول أخته (الخورنق) ترثيه:

عددنا له ستّاً وعشرين حجةً

فلما توفاها استوى سيّداً ضخما

فجعنا به لما انتظرنا إيابه

على خير حين، لا وليداً ولا قحماً

ولهذا سمي طرفة (بالغلام القتيل)، والله أعلم.

ولا يحق لنا قبل أن نودع طرفة إلا أن نورد قصيدته الذائعة الماتعه وهي معلّقته الفريدة التي سارت بها الركبان، وأنشدها السمار، وغنى بها الرحالة، فاسمع إلى صوت العبقرية ونشيد الإبداع وكلمات النبوغ، يقول:

لخولةَ أطلالٌ ببرقةِ ثهمدِ

تلُوحُ كباقي الوَشمِ في ظاهرِ اليَدِ

وُقُوفاً بها صحبي عليَّ مطيَّهم

يقولون: لا تهلكْ أسى وتَجَلَّدِ

(١) انظر: مقدمة ديوانه، لكرم البستاني (ص٩ ـ ١٠).

obeikandl.com

كـــأنَّ حُـــدُوجَ المَالكيَّـــةِ غُـــدوةً
خـلايا سَـفينٍ بـالنَّواصفِ من دَدِ

عـدوليَّـةٍ أو من سَـفينِ ابنِ يَامنٍ
يَجُـورُ بهـا الملاَّحُ طوراً ويهـتَـدي

يَشقُ حُـبـابَ المَاءِ حَـيـزومُـهـا بهَـا
كـمـا قَـسَـمَ التُّـربَ المُـفـايلُ بـاليـد

وفي الحيِّ أحـوى ينفُضُ المردَ شـادنٌ
مُظاهر سِـمطي لُؤلُؤٍ وزَبَـرجـد

خـذولٌ تُـراعي ربـرباً بخـمـيلةٍ
تـنـاولُ أطـراف البـــزيـرِ وتـرتـدي

وتبـــسمُ عـن ألمـى كـــأنَّ مُـنـوّراً
تـخـلَّلَ حُـــرَّ الـرَّمـلِ دعصٌ لـه نَـد

سـقـتْـهُ إياةُ الشـمس إلا لِـثـاتِهِ
أسفَّ ولم تكدم عليـــه بإثمـــدِ

ووجـهٌ كـأنَّ الشـمسَ حلت رداءَها
عليـــه، نقيُّ اللون، لم يـتـخـدَّدِ

وإني لأمـضي الهَمَّ عند احتضاره
بعـوجـاءَ مـرقـالٍ تـرُوحُ وتغـتـدي

أمُـــونٍ كـــألـواحِ الإرانِ نسـأتُـهـا
على لاحبٍ كـأنَّـهُ ظهـرُ بُـرجُـدِ

تُباري عتاقاً ناجيَاتٍ، وأتبعت
وظيفاً وظيفاً فوق مورٍ مُعبَّدِ

ترَبعتِ القُفَّين بالشَّولِ تَرتَعي
حَدَائقَ مَولِيٍّ الأسرَّةَ أغيَدِ

تريعُ إلى صوت المُهيب، وتتَّقي
بذي خُصَلٍ رَوعَات أكلفَ مُلبدِ

كأنَّ جَنَاحَي مَضرحِيٍّ تَكنَّفَا
حفافيه شُكًّا في العَسيب بِمِسردِ

فَطَوراً به خلف الزَّميل، وتارةً
على حَشِفٍ كالشَّنِّ ذَاوٍ مُجَدَّدِ

لها فخذان أُكمل النَّحضُ فيهمَا
كأنهما بابا منيف مُمَرَّدِ

وطيٌّ محال كالحُنيِّ خُلُوفه
وأجْرِنَةٌ لُزَّت بدأي منضدِ

كأنَّ كناسيْ ضالةٍ يكنفانِهَا
وأطر قسيٍّ تحت صُلبٍ مُؤيَّدِ

لها مرفقانِ أفتلانِ كأنما
تمرُّ بسلميْ دالج متشدِّدِ

كقنطرةِ الرُّومي أقسمَ ربُّهَا
لتكتنفنْ حتى تشادَ بقرمَدِ

صهابيةُ العثنونِ مؤجدةُ القرا
بعيدةُ وخدِ الرِّجل موَّارةُ اليدِ

أمرَّتْ يداهَا فتلَ شزْرٍ، وأجنحتْ
لها عضداهَا في سقيفٍ مُسنَّدِ

جنوحٌ، دفاقٌ، عندلٌ، ثمَّ أفرعتْ
لها كتفاهَا في معالى مُصعَّدِ

كأنَّ عُلُوبَ النّسعِ في دأياتِها
موارد من خلقاء في ظهر قردد

تلاقى، وأحياناً تبينُ كأنَّها
بنائقُ غرٌّ في قميصٍ مقدَّدِ

وأتلاعُ نهاض إذا صعدتْ به
كسُكَّانِ بوصيٍّ بدجلةَ مُصعدِ

وجُمجُمةٌ مثلُ العلاة كأنَّمَا
وعى الملتَقَى منها إلى حرفِ مبردِ

وخدٌّ كقرطاس الشآمي ومشفرٌ
كسبتِ اليماني قدُّهُ لم يُحرَّدِ

وعينانِ كالماويَّتين استكنَّتا
بكهفَي حجاجَيْ صخرةٍ قلتِ موردِ

طحورانِ عُوَّارَ القذى، فتراهُما
كمكحولتَيْ مذعورةٍ أمِّ فرقدِ

وصادقَتَا سَمع التَّوجُّس للسُّرى
لهجسٍ خفيٍّ أو لصوتٍ مندَّدِ

مُؤلَّلتانِ، تعرفُ العتقَ فيهما
كسامعتيْ شاةٍ بحومل مُفردِ

وأروعُ نبَّاضٌ أحذُّ مُلملَمٌ
كمرادة ِصخرٍ في صفيحٍ مصمدِ

وإن شئت سام واسِط الكورِ رأسُها
وعامتْ بضبعيْها نجاءَ الخفيدَدِ

وإن شئت لم تُرقلْ، وإن شئتَ أرقلتْ
مخافةَ ملويّ منَ القدِّ مُحصدِ

وأعلمُ مخروتٌ من الأنف مارنٌ
عتيق متى ترجُمْ به الأرضَ تزدَدِ

على مثلِها أمضي إذا قال صاحبي:
ألا ليتني أفديكَ منها وأفتدي

وجاشتْ إليه النفسُ خوفاً وخالَهُ
مُصاباً ولو أمسى على غير مَرصَدِ

إذا القومُ قالوا من فتى خلتُ أنَّني
عُنيتُ فلمْ أكسلُ، ولم أتبلَّدِ

أحلتُ عليها بالقَطِيع فأجذمتْ
وقد خبَّ آلُ الأمعَزِ المُتوقِّدِ

فذالتْ كما ذالتْ وليدةُ مجلسٍ
تُري ربَّها أذيالَ سحل مُمَدَّدِ

ولستُ بحلاَّل التِّلاع مخافةً
ولكن متى يسترفد القومُ أرفدِ

وإن تبغني في خلقَةِ القوم تلقَني
وإن تقتنصني في الحوانيت تصطدِ

متى تأتني أصبحْك كأساً رويَّةً
وإن كنت عنها غانياً فاغنَ وازدَدِ

وإن يلتق الحَيُّ الجميعُ تلاقني
إلى ذروةِ البيتِ الرَّفيعِ المُصمدِ

ندامايَ بيضٌ كالنجومِ وقينةٌ
تروحُ إلينا بين بُرد ومُجسَّدِ

رحيبٌ قطابُ الجيبِ منها، رفيقةٌ
بجسِ الندامى، بضَّةُ المُتجرَّدِ

إذا نحنُ قلنا أسمعينا انبرتْ لنا
على رسلها مطروفةً لم تشدَّدِ

وما زال تشرابي الخُمُورَ ولذَّتي
وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتلدي

إلى أن تحامَتْني العشيرةُ كُلُّها
وأُفْرِدْتُ إفرادَ البعيرِ المُعبَّدِ

رأيتُ بني غبــراءَ لا يُنكرونَني
ولا أهلُ هذاكَ الطرافِ المُمَــدَّدِ

ألا أيُّهذا اللائمي أحضرَ الوغى
وأن أشهدَ اللذَّاتِ، هل أنت مُخلدي؟

فإنْ كنتَ لا تستطيعُ دفعَ منيَّتي
فــدعني أبادرُها بما ملكتْ يدي

فلولا ثلاثٌ هنَّ منْ عيشةِ الفتى
وجدِّك لم أحفلْ متى قامَ عوَّدِي

فمنهن سبقُ العاذلاتِ بشربةٍ
كُميْتٍ متى ما تُعلَ بالماءِ تُزبِدِ

وكري إذا نادى المُضافُ مُحنَّباً
كسيد الغضا نبَّهته المُتورِّدِ

وتقصيرُ يوم الدَّجن والدَّجنُ معجب
ببهكنةٍ تحتَ الطرافِ المُعمَّدِ

كأنَّ البرين والدَّماليجُ علِّقتْ
على عُشرٍ أو خروعٍ لم يُخضَّدِ

فذرني أُروِّ هامتي في حياتها
مخافةَ شربٍ في الحياةِ مُصرَّدِ

كريمٌ يُروي نفسَهُ في حياتِه
ستعلمُ إن مُتْنا غداً أيُّنا الصَّدي

obeikandl.com

أرى قـبـــر نحـَّـــامٍ بخـــيلٍ بمالـه
كـقـبـرِ غـويٍّ فـي البطالةِ مُـفـسـدِ

ترى جُـثـوتينِ مـنْ تُرابٍ عليـهـمـا
صـفـائـحُ صمٍّ منْ صـفـيحٍ مُنضَّدِ

أرى الموتَ يَعتامُ الكرامَ، ويصطفي
عـقـيلةَ مـالِ الفـاحشِ المُتَـشَـدِّدِ

أرى الدَّهـرَ كنزاً نـاقـصـاً كلَّ ليلةٍ
ومـا تنقُص الأيامُ والدَّهـرُ يَنفـدِ

لعـمـرُك إنَّ الموتَ مـا أخطأَ الفـتى
لكالطِّولِ المُرخي وثنيـاهُ بالـيـدِ

فـمـالي أَراني وابنَ عـمي مـالـكاً
مـتـى أدنُ منه ينأ عني ويبـعُـد

يلومُ ومـــا أدري عـــلامَ يلُومُني
كـمـا لامني في الحيِّ قُرطُ بنُ أعـبَـدِ

وأيأسـني مـن كلِّ خـيـرٍ طلبـتُـهُ
كـأنَّا وضـعـنـاهُ إلى رمْس مُلحَـد

على غـيـرِ ذنبٍ قُلتُـهُ، غـيـر أنَّني
نشدتُ فلم أُغفل حـمُولَةَ مَعـبَـدِ

وقـــربتُ بـالقُـــربَى وجـــدِّك إنَّني
مـتـى يكُ أمـر للنُّكيـثـةِ أشـهـدِ

obeikandl.com

وإن أُدعَ في الجُلَّى أكُن منْ حُماتِها
وإن يَأتِكَ الأعداءُ بالجَهْدِ أجهدِ

وإن يقذفو بالقذع عرضكَ أسقهم
بكأس حِيَاضِ الموت قبل التَّهَدُّدِ

بلا حدثٍ أحدثتُه وكمُحدثٍ
هجائي وقذفي بالشَّكاة ومُطرَدِي

فلو كانَ مولاي امرءاً هو غيرُهُ
لفرَّجَ كربي لأنظرني غدى

ولكنَّ مولاي امرؤٌ هو خانقِي
على الشُّكرِ والتَّسآلِ أو أنا مُفتَدِ

وظُلمُ ذوي القُربى أشدُّ مضاضةً
على المرءِ منْ وقعِ الحُسام المُهنَّدِ

فذرني وخُلقِي؛ إنَّني لك شاكرٌ
ولو حلَّ بيتي نائياً عند ضرغَدِ

فلو شاء ربي كُنتُ قيسَ بن خالدٍ
ولو شاء ربي كُنتُ عمرو بن مرثدِ

فأُلفيتُ ذا مالٍ كثيرٍ، وعادني
بنون كرامٌ سادةً لمسَوَّدِ

أنا الرجلُ الضَّربُ الذي تَعرفُونهُ
خشاشٌ كرأس الحيَّة المتوقدِ

فـآليتُ لا ينفكُّ كـشـحي بطانةً
لعـضبٍ رقـيـقِ الشَّـفـرتَين مُـهنَّدِ

حُـسـامٍ إذا مـا قُـمتُ مُنتـصِراً به
كَفَى العَوْدَ منهُ البَدءُ ليسَ بمعضدِ

أخي ثقـةٍ لا ينثني عن ضـريبـةٍ
إذا قـيلَ مـهلاً قـالَ حـاجـزُهُ قدي

إذا ابتَـدَرَ القَومُ السلاَحَ وجـدتني
منـيـعـاً إذا بلَّتْ بقـائـمِـهِ يَدي

وبركٍ هُجُودٍ قد أثارتْ مخافتي
نواديهـا أمـشي بعـضْب مُـجَـرَّدِ

فـمـرتْ كـهـاةٌ ذاتُ خـيفٍ جُـلالَةٌ
عـقـيـلة شـيـخٍ كـالوبيلِ يلنددِ

يقـولُ وقدْ تـرَّ الوظيفُ وسـاقُـهـا:
ألستَ ترى أن قـد أتيتَ بمُـؤيَدِ؟

وقـــال: ألا مـــاذا ترون بشـــاربٍ
شـديدٍ علينا بغـيُـهُ مُـتـعـمِّـدِ؟

فـقـــال: ذرُوه إنما نفـعـهـــا له
وإلا تـردُّوا قـــاصيَ البَـــرك يـزددِ

فظلَّ الإمـــاءُ يمتلِلْن حُـــوارها
ويُسعى علينا بالسَّديف المُسرهَدِ

obeikandl.com

فـإن مُتُّ فـانعـيني بما أنا أهلُهُ
وشُقي عليَّ الجيبَ يا ابنةَ معبد

ولا تجعليني كامرئ ليس همُّـهُ
كهمِّي، ولا يُغني غَنَائي ومشهدي

بطيءٍ عن الجُلَّى، سريعٍ إلى الخَنَا
ذليلٍ بأجماعِ الرجال مُلهَّدِ

فلو كُنتُ وغلاً في الرِّجال لضرَّني
عداوةُ ذي الأصحابِ والمُتَوحِّدِ

ولكنْ نفى عنِّي الأعادي جُرأتي
عليهم وإقدامي وصدقي ومحتدي

لعمرُكَ ما أمري عليَّ بغُمَّةٍ
نهاري، ولا ليلي عليَّ بسرمَدِ

ويومٍ حَبَستُ النَّفس عند عراكِهِ
حفاظاً على عوراتِه والتَّهدُّدِ

على موطن يخشى الفتى عنده الرَّدَى
متى تعتَرِكْ فيه الفرَائصُ تُرعدِ

وأصفر مضبوحٍ نظرتُ حواره
على النَّار واستودعتُهُ كفَّ مُجمِدِ

ستُبدي لك الأيَّامُ ما كنتَ جاهلاً
ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لم تُزودِ

obeikandl.com

ويأتيك بالأنبـاءِ من لم تبعْ لهُ
بتـاتاً، ولم تضـربْ له وقتَ موعِـدِ

لعـمـرُكَ مـا الأيامُ إلا مُـعـارةٌ
فما اسطعتَ منْ معروفِها فتزَوَّدِ

عن المَرءِ لا تسـأل وأبصـرْ قـرينَهُ
فـإنَّ القـرينَ بالمُقـارنِ يَقـتـدِي

obeikandl.com